الفصل الأول

"من هم العمال العاميون"

المهاجرون الحرفيون

"WHO ARE PUBLIC WORKERS"

The Migrant Craftsmen

الخلفية التاريخية

يعد الجيشان والدمار اللذين انتشرا من بلاد الإغريق إلى الأناضول وسورية وفلسطين حوالي العام ١٢٠٠ قبل الميلاد، واللذين عموما ما تُسند سببه النصوص المصرية "لشعوب البحر" حيث كان الفلسطينيون القدماء من أكثر هذه الشعوب عرضة له؛ ولقد اختفت[١] نتيجة لذلك ولحد كبير ممالك وقصور ومهن فنية وأنظمة الكتابة التي حققت المجد للعصر البرونزي. ففي شرق البحر الأبيض المتوسط، وخارج مصر، لم تبقَ الحضارة المدنية ومعرفة القراءة والكتابة إلا في منطقة كيليكيا Celicia وسورية و فلسطين فقط. واستمر تراث الحضارة الحثيه بالسيطرة على كيليكيا واتسع حتى شمال سورية. وإن أكثر ما تميز به الأسلوب الحثي هو فن النحت التذكاري وموضوعات فنية أخرى - إن المواقع الهامة هي تل حلف - غوزانا Tell Halaf - Guzana وكاركاميش Carchemish ومالاتيا - ميليدMalatya-Milid واسماعيل - زينسيريلي Sam'al-Zincirli وكاراتيبي[٢] Karatepe ـ وخاصة في الكتابة الحثيه الهيروغليفية التي استمرّت في الكاراتيبي حتى نهاية القرن الثامن تقريباً؛ وقد استُعملت هذه الكتابة كلغة للعائلة الحثيه والتي تسمى الآن هيروغليفية لويان Luwian. ولقد أحرزت القبائل الآرامية الغازية، التي تتحدث لغة سامية وتستعمل الأبجدية في الكتابة، تفوقاً في بعض الأماكن فأسست إمارات كإمارة غوزانا وإمارة اسماعيل. أما جنوب سورية، بما في ذلك مدينة بعلبك وصيدا وصور، فقد تأثرت بالأسلوب

obeikandl.com

المصري وتأثيراته. وأما الساميون الغربيون المقيمون في هذه المنطقة، والذين يُطلق عليهم اليونانيون اسم فونيكيز Phoinikes أي الفينيقيين، فقد استمروا بالتوسع في تجارتهم البحرية. ولم تقف هذه الاتصالات الأولية عند قبرص فحسب، ولكنها امتدت لتصل إلى كريت [٣] أيضاً. وكان البحث عن النحاس و فلذات الحديد [٤] يُضفي على هذه الفعاليات أهمية متزايدة.

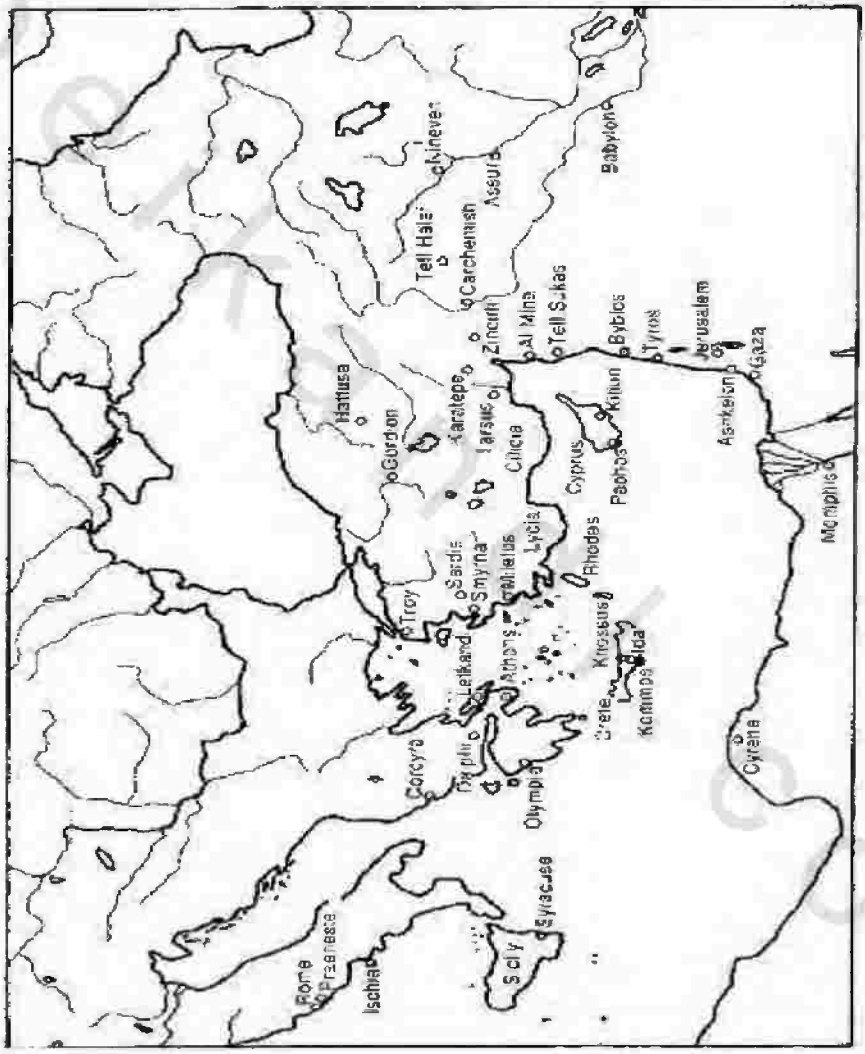

البحر الأبيض المتوسط و الشرق الأدنى في أوائل العصر القديم.

لقد كان تطور الكتابة الأبجدية من أهم الإنجازات الهائلة في سوريا و فلسطين حيث جعلت هذه الأبجدية القراءة والكتابة، وذلك من خلال تبسيطها البارع، سهلة المنال و أكثر انتشاراً للمرة الأولى؛ ولقد استعملها كل من العبريين و الفينيقيين والآراميين[٥] على حد سواء. ويعود هذا الاختراع إلى العصر البرونزي، ولكنه حقق مكانته المرموقة تماماً عند انهيار العصر البرونزي الذي جعل معظم أنظمة الكتابة الأخرى تختفي.

إن التوسع الآشوري في تجمعات هذه المدن غير المتجانسة و الممالك ومراكز القبائل في القرن التاسع وما بعده أحدث تغييراً فعالاً بمقاييس تاريخية عالية. وبالنسبة للآشوريين أيضاً، فإن البحث عن مواد أولية وخاصة المعادن كان على ما يبدو الدافع عندهم. وعلى أية حال، فقد بنى آشور أقوى جيش في زمانه واستخدمه في غارات بعيدة جداً وكانت طلباته التي لا تعرف الرحمة وهي: الخضوع والجزية؛ وهكذا أسس أول قوة دولية في العالم. ولقد قاد آشور ناسيربال Ashurnasirpal (٨٨٤ - ٨٥٨) وشلمنصر الثالث Shalmaneser III(٨٥٨ - ٨٢٤) أول تقدم ناجح إلى سورية حيث وقف الجيش الآشوري للمرة الأولى على شواطئ البحر الأبيض المتوسط في عام ٨٧٧. وفي العام ٨٤١ أُجبرت صور وصيدا على دفع الجزية، وفي العام ٨٣٤ حدث نفس الشيء لتارسوس Tarsos في كيليكيا؛ وأجبرت مدن الولايات الحثيه على أن تحذوا حذوهم أو تلقى الدمار. وكان من المفترض على الإغريق أن يكونوا على دراية بخطر هذه القوة الشرقية على قبرص على الأقل؛ وذلك لأنه في هذا الوقت تقريباً، أي حوالي العام ٨٥٠، كان فينيقيو صور قادمين للاستيطان في قبرص حيث أصبحت كيتيون مدينة فينيقية[٦]. ولقد وصل الاستعمار الفينيقي إلى ما وراء الغرب الأقصى أيضاً حيث كان العام ٨١٤ هو التاريخ التقليدي لتأسيس مدينة قرطاجة.

لم تظهر القوات الآشورية في البحر الأبيض المتوسط بعد شلمانسر لفترة من الزمن. وخلال هذه الفترة كان التجار الإغريق أول من وصل إلى سورية حيث كانوا موجودين في الميناء Al Mina على مصب نهر العاصي منذ نهاية القرن التاسع[٧]؛ ومن هناك وصلت الاتصالات إلى شمال سورية وإلى أورارتو Urartu وإلى بلاد الرافدين مع طريق القوافل

الأقصر. وفي نفس الفترة تقريباً، كان الإغريق موجودين في تارسوس[٨]، وكذلك كانوا موجودين في تل سوكاس Tell Sukas [٩] في الفترة التي تلتها؛ هذا وتوجد أيضاً مكتشفات إغريقية من راش - أل - باسيد (بوسيدونيا) Rash-al-Basid (Poseidonia) ومن تل تاينات Tell Tainat وصور وحماه. وبذلك تمتد الاتصالات إلى جوار قبرص، ولكن الأهم من ذلك كله امتداد هذه الاتصالات إلى يوبي Euboea حيث أظهرت التنقيبات في ليفكاندي Lefkandi عن وجود آثار لمجتمع محدود الثراء من القرنين العاشر والتاسع اللذين كانا منفتحين على التجارة مع الشرق[١٠]. هذا وقد بلغت إريتريا Eretria و معها كالكيس Chalkis نقطة الذروة في القرن الثامن، آما آثينا فلم تكن في عالم النسيان؛ فقد وصل الإغريق إلى الغرب من خلال كالكيس قبل منتصف القرن الثامن، وهذا الشيء يمكن رؤيته من خلال مستوطنة التجار و الحرفيين التي تم اكتشافها في بيثيكوساي إسيشا Pithekoussai Ischia[١١]. و لقد كانت تجارة الفلذات هنا أيضاً أساسية وخاصة مع الإتروسكانين Etruscans. و كان على طريق الفينيقيين الذي يمر عبر قبرص ومنه إلى قرطاج ومن ثم إلى جنوب ساردينيا أن ينافس طريق الإغريق الذي يمر من يوبي عبر إيثاكا ومنها إلى بيثيكوساي. ولقد ظهرت الأمثلة الأولى للكتابة الإغريقية في يوبي وناكسوس Naxos وبيثيكوساي وأثينا[١٢] في سياق قيام هذه الطرق. إن أسماء الأماكن مثل سولوي Soloi التي تعني "قوالب معدنية" ـ التي تأكدت صحتها في كل من كيليكيا وقبرص ـ وكالكيس التي تعني "بيت برونزي" وتارشيش Tarshish التي تعني "مسبك معدني"[١٣] تدل على الاهتمامات الاقتصادية؛ هذا ويبين بيت من الشعر في الأوديسة هذه الاهتمامات الاقتصادية عندما يتحدث عن تافيان مينتس Taphian Mentes الذي يسافر عبر البحار ليتاجر بالبرونز مقابل شحنة من الحديد[١٤].

بدأ من جديد أقوى تقدم آشوري في ظل تيغلاث - بيليسير الثالث Tiglath-Pileser III(٧٤٥ - ٧٢٧) الذي سحق قوات أورارتو و جعل من صور و بعلبك إقطاعيات ومركز دائماً للقوات آشورية في الغرب. حدث في عهده، مباشرة بعد العام ٧٣٨ قبل الميلاد،

وأن ظهر تقرير يذكر لأول مرة الأيونيين، أي الإغريق؛ وفيه يروي الضابط هجوماً معاكساً على سورية: "جاء الإيونيون Ionians ، هاجموا .... المدن .... إن . ن طاردهم؟] في سفينته ... في منتصف البحر."[١٥]

أخذت مسألة تسمية الشرقيين للإغريق بالأيونيين[١٦] تعليقات ونقاشات كثيرة؛ فهي جاوان Jawan باللغة العبرية وجنان Junan باللغتين العربية والتركية. أما الصيغة الآشورية فهي إآوان (و) iawan(u) أو بتغيير الأحرف الساكنة الداخلية إآمان (و) Iaman(u). أما في النص الذي تم اقتباسه أعلاه فإن التسمية هي (بلد) إآ –ونا –ا – Ia-u-na-a-a ا أي إآونايا Iaunia. وقد ثُبت أن هذا الاسم هو ليس اسم لقبرص حيث أطلق عليها الآشوريين اسم إيادنانا Iadnana [١٧]. هذا ولم يسمِّ الإغريق الموجودون في قبرص أنفسهم بالأيونيين، ومع ذلك قلما تمت الإشارة إلى الأيونين من آسيا الصغرى أو إلى أي من ميليتوس Miletos أو إيفيسوس Ephesos منذ حوالي منتصف القرن الثامن. وطبقاً للأدلة الأثرية و ما توحي إليه انتشار الكتابة، فمن المفترض أن يكون هؤلاء الأيونيون القادمون من البحر و الذين واجهوا الآشوريين هم من الإغريق من يوبي أو أثينا أو كلتيهما، كما ويجب أن لا نستثني جُزراً مثل ساموس و ناكسوس. هذا وقد أكدت الإلياذة هكذا استنتاج؛ ففي أحد المقاطع تمت الإشارة إلى الإيونيين على أنهم يقاتلون إلى جانب أوبيونتيان اللوكريايون Opuntians Lokrians، وبعدهم مباشرة ظهر الأثينيون في الصدارة. من الواضح أنه قد تمت الإشارة إلى قبائل مجاورة، و بذلك يكون من المناسب أن يتم وضع الأيونيين الذين هم من يوبي بين الأوبيونتيين و الأثينيين[١٨].

وصلت الدولة الآشورية ذروة قوتها في ظل سارغون الثاني Sargon II (٧٢٢-٧٠٥)؛ ولم تصبح الولايات الحثية الصغيرة في كارشيميش و زينسيرلي مقاطعات آشورية فحسب، بل انضمت كيليكيا إليها أيضاً لتصبح مقاطعة آشورية. ففي عام ٧٠٨، أعلن ملوك قبرص بما في ذلك المدن الإغريقية مثل سالاميس وبافوس ولاءهم لسارغون. هذا وقد ترك سارغون لوحة حجرية منقوشة في كيتون تشهد على أعماله. وأنه لأمر مُختلف عليه[١٩]

فيما إذا كان المُغْتَصِبُ الأشدودي إيماماني، الذي هزمه سارغون عام ٧١١، كان إيوني حيث أن اسمه يوحي بذلك. و هناك فكرة سائدة بأن ميتا، ملك "موشكي" Mushki، الذي أعلن ولاءه لسارغون في عام ٧٠٩، كان ملك ميداس الفريجيه و لهذا السبب يحتفل به الإغريق. ومن هنا تبدو مسألة اتصال الآشوريين بمملكة الفريجيان العظمى في القرن الثامن شيئاً لا يحتاج إلى برهان[٢٠].

أخمد سنحاريب Sennacherib (٧٠٥ - ٦٨١) انتفاضة في تارسوس في العام ٦٩٦. وحسب الرواية الإغريقية، التي نقلها بيروسوس، فإن الإغريق قاتلوا الآشوريين في البحر وهُزِموا[٢١] ؛ حتى أنه تم تدمير الميناء حوالي العام ٧٠٠، ولكن حالما تم إعادة إعمارها من جديد. و بالإجمال فإن حوادث العنف المتعددة والمصائب لم تدمر الاتصالات بين الشرق والغرب و إنما كثفتها ؛ وربما يعود ذلك إلى وجود حشود من اللاجئين الذين كانوا يعملون على الاندماج مع التجار. و على أية حال ، فقد ازداد ظهور البضائع الشرقية المستوردة و تم صنع مثيلاتها في المنازل في بلاد الإغريق حوالي العام ٧٠٠ ؛ كما تم نفس الشيء في إتروريا Etruria بعد ذلك بقليل. في ذلك الحين تم اكتشاف الكتابة المسمارية في تارسوس إلى جانب اكتشاف الخزف في رودوس وساموس و كورنيث ؛ و بذلك تشكل فترة سيطرة الآشوريين على قبرص حقبة "هومرية" أيضاً.

لقد عامل إشارهادون Essarhaddon (٦٨١ - ٦٦٩) ملوك قبرص على أنهم من أتباعه[٢٢] أيضاً ؛ أما خليفته آشاور بانيبال Ashurbanipal (٦٦٩ - ٦٢٩)، الذي كان أقوى ملوك نينوى، فقد بقي في ذاكرة الإغريق إلى الأبد باسم "ساردانا بالوس"[٢٣]. و لقد قاتل آشارهادون و آشور بانيبال السومريين في آسيا الصغرى كما فعل الإغريق من قبل. وبعد ذلك بدأت مراكز الجاذبية بالتحول، فقد دمر الآشوريون صيدا، وهي المدينة المشهورة عند الإغريق كمركز للتجارة الفينيقية، بشكل تام في عام[٢٤] ٦٧٧ ؛ و على أية حال، فقد استطاع أخيراً ملك بساميتيشوس Psammetichus أن يُثَبِّت قواته في مصر وأن يَتَخلص من النِّير الآشوري في عام ٦٦٣. وما أن تم إدراج المرتزقة الإغريق في خدمته حتى أصبحت مصر، من وجهة نظر

الإغريق، أكثر أهمية من المدن السورية المدمرة. ففي نفس الوقت تقريباً وفي سياق صراعه مع السومريين، أسس الملك كيكيس مملكة الليديان وكان مركزها في ساردِيز؛ وبذلك يكون قد أسس علاقة مباشرة مع الآشوريين في عام[٢٥] ٦٦٥. وهكذا تم فتح "الطريق الملكي" الذي يصل ساردِيزSardis بالشرق[٢٦]. وقبل كل شيء فإن هذا الوضع هو الذي جعل الأيونيين يتصلون بتجارة الشرق بشكل مباشر، وهكذا ضَمِنَ الازدياد السريع للأيونيين في آسيا الصغرى. وفي نفس الوقت، ضَيَّعَ الكالكس والإريتريون في يوبي، قواتهم في حرب الـ ليلانتيني و بذلك خرجوا من تجارة الغرب في الوقت الذي كانت تتنامى فيه قوة الكورينث الذين استعمروا كيركيرا في القرن الثامن. ولقد استطاعت الثقافة الإغريقية أن يكون لها اليد الطولى وأن تفلت من تأثير الشرق في خضم هذه المعمعة من العلاقات المتشابكة و المتغيرة.

منتجات شرقية في بلاد الإغريق

تُقَدِّمُ لنا الاكتشافات الأثرية، لا النصوص الإغريقية، الأرضية الصلبة لتتبع تأثيرات الثقافة الشرقية على بلاد الإغريق وتُقَيِّمُ أهميتها في القرن الثامن وأوائل القرن السابع. ظهرت أشياء شرقية الأصل في مواقع إغريقية بأعداد كبيرة وخاصة في المعابد الإغريقية التي كانت تشهد تطوراً سريعاً. وفي نفس الوقت فإن أسلوب التصوير الإغريقي وكان يمر بتغيرات جوهرية وذلك من خلال تبني الأفكار الشرقية العامة و تقليدها ونقلها. ولسنا هنا بصدد دراسة مفصلة عن المواقع والموضوعات و السياقات وأصول الأشياء. فقد قدم لنا جون بوردمان John Boardman، الذي جاء بعد كلٍ من فريدريك بولسون Fredrik Poulsenو ت. ج دنبابن T.J. Dunbabin ، معالجة شاملة؛ وقدم لنا هانز فولكمار هيرمان Hans-Volkmar Herrmann و وولف كانك هيلك Wolfgang Helck كنزاً من المواد؛ وأضاف مؤخراً كنتركوبكي Gunter Kopcke[١] مسحاً مفيداً. و إن تحديد الأساليب المحلية وبالتالي تعريف أصل القطع منفردة مازال جارياً حتى الآن. فهناك الكثير من المواقع في الشرق الأدنى التي ما زالت غير مكتشفة أو مكتشفة جزئياً. ويعمل علماء الآثار في الوقت

الحالي في أكثر الظروف صعوبة و وسط اضطرابات متواصلة وحروب و عمليات نهب. وعلى الرغم من ذلك، فإن الخطوط العريضة للتطور الثقافي والاقتصادي تبدو وكأنها وطدت نفسها بقوة. ولقد أصبح دور سورية، كصلة وصل مركزية بين مملكة الحثّيين الثانية والأرارتيين و الآشوريين والتأثيرات الثقافية المصرية، شديد الوضوح.

بالنسبة للإغريق فإن التجارة مع الشرق لم تتوقف أبداً. فهناك قطع متفرقة مستوردة من القرنين العاشر و التاسع قبل الميلاد، وقد ازداد عددها في القرن الثامن بشكل واضح و حتى بنسبة أكبر في النصف الأول من القرن السابع. وكان النقش على العاج هو أكثر ما تجلى فيه هذا الأصل الغريب؛ على الرغم من أن الإغريق[٢] دأبوا على تبني هذه المهارة في وقت لاحق. ولقد تجلى هذا الأصل الغريب أكثر من ذلك في بعض الحالات كما في حالة النقش على بيض النعام أو صدف سمك التريداكنا في البحر الأحمر الذي ظهر في القرن السابع[٣]. وتم العثور على المجوهرات في أغلب الأحيان، ووجد الذهب بأشكال عدة، وكذلك الأمر بالنسبة للحبيبات الفخارية المزخرفة وحبيبات الزجاج حيث وصف هومر حليّ أذن هيرا بأنه "ذو ثلاثة عيون و يشبه التوت" وبذلك يمكن التعرف عليه كمجموعة[٤]. هذا ويقدم استعمال المجوهرات والخواتم وانتشار شواهد أكثر أهمية على العلاقات مع الشرق[٥]. لقد تم اكتشاف ما يقارب من مائة ختم سوري - كيليكي في بيثيكوساي - إسيشيا[٦]؛ كما تم العثور على حليّ على شكل حجاب التعويذة من النمط السوري والمصري في قبور ليفكاندي؛ وأما الأمير الذي دُفن في هيرون في إريتريا فقد كان يحمل خنفساء فينيقيه في طقم مصنوع من الذهب[٧]. أما الأختام الاسطوانية، وهي النمط النموذجي لشكل خاتم بلاد الرافدين، فقد تم نبشها في أولمبية و كذلك الأمر في ساموس و ديلوس[٨].

أما الشواهد من الأعمال المعدنية فهي أكثر روعة حيث تمت التجارة بالأواني الفينيقية البرونزية والفضية على أنها مواد خاصة غالية الثمن على نطاق واسع. وقد وُجِدَتْ هذه المواد في أثينا وأولمبيا ودلفي، وفي جنوب إيطاليا، وفي برينيستي Praeneste و إتروريا بالإضافة إلى قبرص. وقد جاء هومر[٩] على ذكر هذه المواد التي عُرفت لفترة طويلة من الزمن

بمخضات صيدا (أواني لخض الخمرة أو الماء). يبدو أن تصنيع هذه الأواني و أسلوبها يحمل شبهاً كبيراً لدرع أخيل كما جاء وصفه في الإلياذة. لقد تم العثور على ثلاثة من هذه القدور على الأقل تحمل كتابات أرامية- فينيقية في أولمبيا وفي جنوب ايطاليا وفي برينيستي. وتم العثور على إناء واحد في فاليري يحمل كتابة باللغة المسمارية[١١]. وفي أولمبيا حوالي العام ٦٧٠ قبل الميلاد، تم إعادة تصنيع أواني فنية برونزية من مدينة تابال التابعة للمملكة الحيثية الثانية لتكون تمثالاً كبيراً مصنوعاً من رقائق برونزية[١١]؛ هذا وقد وصلت إلى بلاد الإغريق أشياء معدنية من نفس المنطقة أو من شمال سورية أو حتى من أورارتو عبر سورية؛ وكانت هذه المواد عبارة عن حوامل محفورة. وكان الأهم من ذلك كله وصول أشكال جديدة من القدور الكبيرة ذات أرجل ثلاثة تمت زخرفتها بحوريات السايرين أو الثعابين. وقد كان الحرفيون الإغريق سريعين في تبني هذا الأسلوب للبدء بصناعة تحفهم الفنية[١٢]. يشكل القوس البرونزي والدروع البرونزية الموجودة في الكهف الإديني في كريت نموذجاً فريداً لتأثير الأعمال الفنية الشرقية. ويحمل القوس، (الشكل رقم ١) على وجه الخصوص، المسحة الأشورية بكل وضوح . هذا ولم يتم الاتفاق على تواريخ هذه الأشياء ولكن قلما يشك المرء على أنها أشياء خدمت النظام الديني لزوس في كهف إيدا المقدس[١٣] . وأخيراً فإن هناك قطعاً من طقم الفرس مصنوعة من المعدن بإتقان، وهناك أشياء تدل على هيبة الأرستقراطيين أيضاً وأشياء أخرى كثيرة[١٤]. أما أبرز شيء بين هذه المواد فهي الدروع البرونزية الجميلة التي تم التعرف عليها من خلال الكتابات الموجودة عليها حيث قُدِّمَتْ إلى ملك دمشق هازيلHazael، وبعد ذلك تم إهداؤها إلى أبولو في إريتريا ومن ثم إلى هيرا في ساموس حيث تم العثورعليها في معبدها (الشكل رقم ٢). من المعلوم أن الملك هازيل كان ناشطاً حتى نهاية القرن التاسع، وأنه من الممكن تأريخ الإهداء إلى إريتريا بواسطة علم الآثار إلى منتصف القرن الثامن؛ وتعد هذه حالة نادرة من الدقة عن الأصول و التسلسل الزمني للتأثير الشرقي.

إنَّ لقبرص وكريت على حد سواء وضعاً خاصاً حيث كانتا تتأثران بالشرق في كل الأزمنة؛ أما رودوس فقد أصبحت هامة في القرن الثامن أيضاً. و بالمقارنة مع أطروحة

بيلوش، هناك شواهد واضحة الآن على أن الفينيقيين كانوا يصنعون عطوراً في رودوس حتى قبل العام ٧٠٠[١٥]. هذا و يبدو أن موجة تدفق البضائع الشرقية على ساموس قد بدأت قبل العام ٧٠٠ [١٦]. إن كل الأماكن الدينية العظيمة، التي ازدهرت قرابة القرن الثامن، مثل ديلوس ودلفي، وقبل أي شيء أولمبيا، أنتجت الأشياء الأساسية الشرقية؛ أما إرتيريا ومن بعدها أثينا فتستحق اهتماماً خاصاً[١٧]. إذ بدأت إترووريا فترة تأثرها بالشرق باتصالات مستقلة مع التجارة الفينيقية وامتدت هذه الاتصالات إلى جارتها إيطاليا لتشمل لاتييمLatium [١٨]. لقد وجدت هذه الاتصالات تعبيراً رائعاً في قبور البارينيستين الأغنياء التي تم التنقيب عنها منذ فترة طويلة خلت[١٩].

تطورت المهارات المنزلية وإنتاج هذه المواد المستوردة كمهارة النقش على العاج بالإضافة إلى الأعمال المعدنية[٢٠]. وظهرت أيضاً الفكرة العامة للتصوير الشرقي في أشكال أخرى من الصناعة، فكان السيراميك أولاً وأخيرا أكثر المنتجات استمراريةً و بذلك يكون أفضلها بقاءً[٢١]؛ ومرة أخرى فإن إشارات قليلة يجب أن تفي بالغرض حيث أعطى موضوع سيدة الحيوانات وسيد الحيوانات الذي يعود إلى تراث العصر البرونزي بداية جديدة للحياة[٢٢]. وبالإضافة إلى ذلك، فهناك صور مميزة للصيد وخاصة القتال مع الأسد[٢٣]. لم يرَ الأسد الحقيقي إلا القليل من الإغريق حيث إنهم اعتادوا على مفهوم الأسد من الصور (حتى أنه كان يتم أحياناً الخلط بين صورة الأسد و صورة النمر). وتم استبدال النموذج الحيّ القديم لتصوير الأسد في القرن السابع بالنموذج الآشوري. و إن أغرب معرض يحتوي على الحيوانات مثل الزرافة والسفنكس والسايرنز يعود بأصله إلى أسلافه في العصر البرونزي، ومع ذلك فقد تم إعادة إحيائه ليتناسب مع نموذج الحياة الجديدة[٢٤]. ومن الواضح أنه تم ربط الشيميرا (وحش أنثى يتنفس النار) بطريقة التصوير الحثية[٢٥]؛ أما التريتون، وهو عبارة عن رجل له ذنب سمكة، فيبدو أنه جاء مباشرة من بلاد الرافدين[٢٦]. وأخيراً يجب ذكر الفكرة المتكررة عن شجرة الحياة و بشكل عام عن الحيوان الذي يلبس ثياب صوفية خشنة رثة وشجرة اللوتس و شجرة البلح ذات الغطاء الصوفي[٢٧]. أما مشهد الطاولة وطرق تصوير

حلقات البحث التي تحتوي على رجال سعداء متكئين على وسادات فهو ذو أصول شرقية، وهذا يبدو واضحاً من تطور هذه العادة نفسها في الشرق[٢٨].

الشكل رقم (١)، قوس برونزي من الكهف الإيديني في كريت من القرن الثامن قبل الميلاد. يصور "زعيم الحيوانات" وهو يحمل أسداً و شيطانين: زوس و كوريتس.

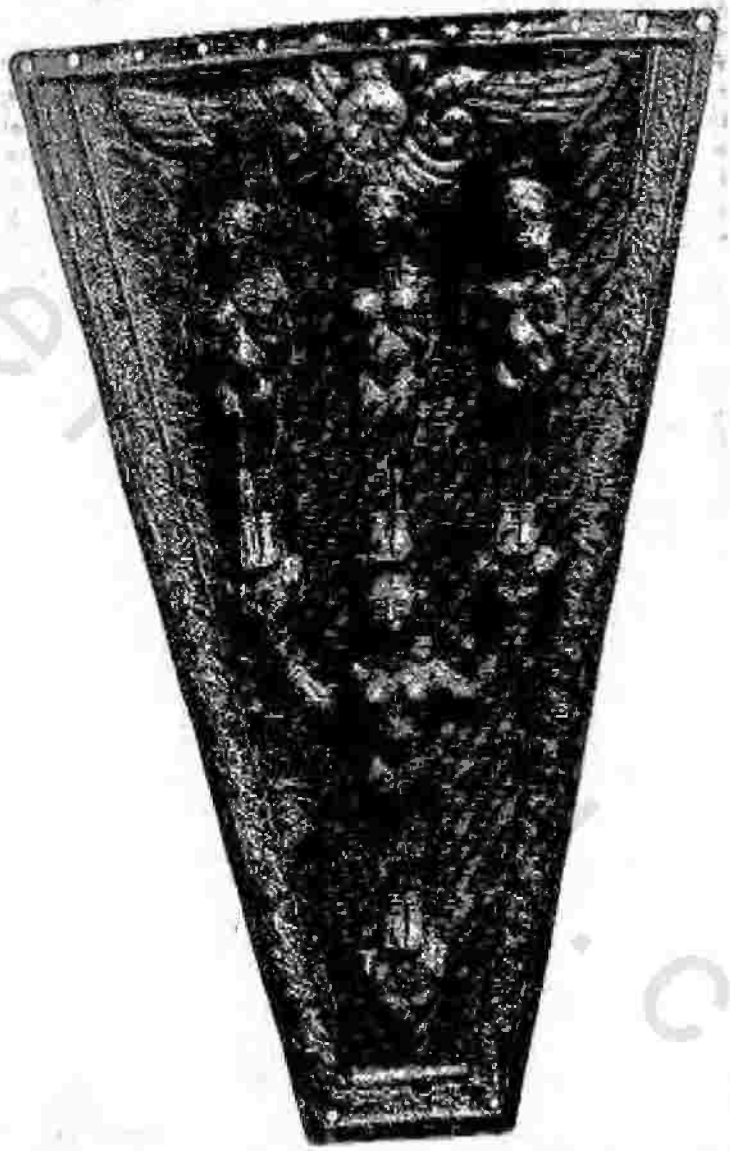

الشكل رقم (٢). صفيحة معدنية برونزية من شمال سورية، مأخوذة من طقم أو عدّة الحرب للفرس من القرن التاسع قبل الميلاد، وجَدت في معبد الحيرة في ساموس. الكتابة آرامية : هذا ما قدمه (الإله) حداد إلى اللورد هازيل من أومكي في العام عندما عَبَرَ اللورد النهر.

يُظهر علم التصور الديني الرسمي تغييرات مماثلة حيث تراجع الإرث الميثيني أمام النماذج الشرقية؛ ونتيجة لذلك فقد سبق و ظهرت في بلاد الإغريق تماثيل برونزية فردية لإله مقاتل يُلَمعُ سلاحه بيده اليمنى في زمن المملكة الحيثية الثانية، علماً بأن الموطن الأصلي لهذه الصورة هي منطقة سوريا - الحثية. وقد تم الآن اكتشاف المزيد من الأشياء وتم نسخها في القرن الثامن[٢٩]. إن مسألة تصوير الآلهة أو الناس في السياق الإغريقي وهي مسألة خاضعة للنقاش، ولكن مما لا يقبلُ الشك هو أن تلك "النماذج الإغريقية" المتأخرة لصور زوس وبوسايدن وهم يُلمعون الصاعقة والرمح ثلاثي الشُعب على التوالي قد إشْتُقَتْ بالكامل من هذه التماثيل. إن التصوير الخاص للصاعقة وهي بيد إله الطقس تعتمد بشكل واضح على النموذج الشرقي[٣٠]. وما هو مختلف تماماً هو صورة الآلهة العارية وهي واقفة وغالباً ما تلمس ثَدييها، والتي كانت شائعة في سورية لفترة طويلة؛ فقد قُدِّمَتْ للإغريق على شكل لوحات معدنية فنية مصنوعة من مجوهرات الذهب على وجه التحديد وعلى لوحات فخارية بسيطة مصنوعة من الطين. وعادة ما كانت هذه الآلهة تُسمى استراتي - أفروديتي[٣١] علماً بأن الدليل على ذلك ضعيف. لقد تم أحياناً استيراد نماذج أخرى لصور الآله أيضاً[٣٢]. ولقد تم في بلاد الإغريق تزويد الآلهة باللباس على وجه السرعة؛ أما صورة الآلهة الواقفة فقد أخذت بالازدياد وتم إكساء تماثيل الآلهة، التي أصبحت الآن مصنوعة من الخشب المحلي لتجد مكانها في المعابد التي تم بناؤها حديثاً، بالأثواب التي ما تزال تقلد زيّ الشرق، تماما كما هو حال مجوهرات أذن هيرا في الإلياذة. إن المثال المشهور الموجود هو تمثال أرتيميس الإفيسوس وهي ترتدي ثوباً مُقسّماً على شكل مستطيل و له حشوات خلفية للباس الرأس وربطات من الصوف في يديها[٣٣]. تبدو هذه الأقنعة الغريبة، التي تم العثور عليها في المعابد الإغريقية في ساموس في ضاحية أورثيا في إسبارطة، أقرب إلى النشاطات الدينية. إن هذا الشكل الفخم لبعض هذه الأقنعة يقلد بشكل واضح أقنعة هامبابا الشرقية[٣٤]. ولكن حتى شكل الإناء البحري، الذي أصبح مُستخدماً عالمياً للسقاية في عبادة الإغريق، فهو نموذج شرقي. والأهم من ذلك كله،

يبقى البخور، الذي أصبح في هذا الوقت جزءً من عبادة الآلهة، مادة مستوردة من الشرق كما يدل عليه اسمه ألا وهو لبانوس libanos وميرها[٣٥] myrrha.

إن أحد أهم ميادين التأثير العميق للشرق على ممارسات الإغريق الدينية، التي يستطيع المرء أن يلمسها في ذلك الوقت، هي بناء المذابح الكبيرة لحرق القرابين. وأما الأهم من ذلك كله فهو بناء المعابد المليئة بالأصنام الدينية لتكون بيوتاً للآلهة المُفضلة. ويبدو أنه لم يكن هناك معبد رسمي إغريقي قبل تاريخ القرن الثامن وهي فترة العطاء الشرقي للمهن. لقد تم إثبات الاختلاط الذي يتمتع بخصوصية كبيرة للسكان الأصليين والفينيقيين والعقيدة الإغريقية في قدموس على الساحل الجنوبي لكريت[٣٦]. وكما هو واضح فقد كان هذا مكاناً لاستراحة السفن العابرة من أجل تزويدها بالمؤن وتقديم الولاء للآلهة. هذا وقد تم توثيق استعمال مواقع دينية من القرن العاشر وما بعد؛ وأما بنية العديد من هذه المواقع فلم يتم تحديدها بعد؛ وكذلك فقد تم توثيق مواقع لبقايا طعام الاحتفالات الدينية والتماثيل التي يُقدّم لها القرابين. كان هناك معبد فينيقي يتميز بثلاثة أعمدة من أواخر القرن التاسع وكانت هذه الأعمدة تمثل المركز المقدس حيث يتم تجميع القرابين بينها. وفيما بعد تم دمج هذه البنية في بنية أقرب إلى الطراز الإغريقي. وبذلك تكون قدموس واحدةً من أهم نقاط الالتقاء البارزة بين الممارسات الدينية الفينيقية و الإغريقية.

ووفقاً للصورة التي قدمتها *الأوديسة*، فإن التجار الفينيقيين كانوا يُعْتَبَرونَ دائماً حملة الثقافة الشرقية وهم الذين قدّموا الأشياء المستوردة إلى الإغريق. جاء هومر على ذكر فونيكس، أي رجال من صيدا، كمنتجي أواني معدنية غالية الثمن، وتجار في البحر، وأحياناً قراصنة. حاول بيلوش إقصاء الفينيقيين من صورة الإيجيين مؤكداً نقصاً واضحاً في الأدلة الآثارية لوجودهم، وخاصة نقص الخزف الفينيقي. وعلى أية حال، فقد تم حتى الآن بشكل واضح إثبات وجود الفينيقيين في كوس و رودوس من خلال خزفهم، كما تم تقفي آثار وجودهم في إفيسوس[٣٧] أيضاً. ولكن مع التنقيبات التي جرت في المينا، فقد تم الاعتراف بالتقدم التلقائي للإغريق باتجاه الشرق على نطاق واسع. ويبدو أن توسع الإغريق

والفينيقيين في البحر الأبيض المتوسط أخذ بالتطور بشكل تنافسي متبادل منذ البدايات. فقد بدأ كلاهما على ما يبدو بتوطيد مراكز للتسهيلات التجارية في الأراضي الأجنبية متبعين بذلك ممارسات الآشوريين الأوائل؛ ومن ثم أخذوا يؤسسون مدن مستقلة، أو ما نسميه الآن مستعمرات. وبالنسبة للفينيقيين، فإن أهم هذه المستعمرات هي كيتون في قبرص وقرطاج في أفريقية. أما المدن الإغريقية فقد وُجِدَتْ في جنوب ايطاليا وصقلية. وبذلك أدت هذه التطورات إلى أشكال جديدة من المنافسة على السلطة السياسية.

وعلى أية حال، فإن العلاقات التجارية التي بدأت حركتها من عند الفينيقيين أولاً ومن ثم من عند اليوبيين، لم تكن القناة الوحيدة للاتصال المتبادل؛ فقد قامت علاقات ثقافية وتبادل في مضمار الحرف. وهناك اقتراح يقول بأن الحرفيين الشرقيين قد قاموا بالهجرة إلى مدن بلاد الإغريق ونقلوا معهم مهاراتهم إلى الإغريق منذ نهاية القرن التاسع. ويفترض أن تكون هجرات اللاجئين قد حدثت في ظروف الغزو الآشوري الصعبة. هذا وقد بَيّنَ جون بوردمان هذه الحركة بتفاصيلها و خاصة في حالة كريت إذ أشار إلى ثلاث مجموعات من الأدلة حيث بدأت عائلة من الحدادين وصناع المجوهرات في كنوسوس بإعادة استعمال قبر مينون ثولوث وأعلنته مكاناً مقدساً لإيداعات خيرية على النموذج الشرقي حوالي العام ٨٠٠ قبل الميلاد؛ وأنتجت مجموعة خاصة من عمال البرونز القوس بأيقونات آشورية بسيطة وأنتجت أيضاً الدرع البرونزي للكهف الإيديني؛ وأخيراً وُجِدتْ قبور سورية الشكل، إذا ما قورنت بمثيلاتها قرب كارشميش في أفراتي في مركز كريت، وذلك في النصف الأول من القرن السابع. إن هذه القبور، بالإضافة إلى البضائع نصف المصنعة، التي وجدت في قبر الحدادين في كنوسس، لدلائل مُقنعة عن الهجرة التي حدثت. وبذلك تنسجم الهجرة في المرحلتين قبل العام ٨٠٠ ومرة أخرى قرابة العام ٧٠٠ بشكل كبير مع الحملات الآشورية[٣٨].

إن البرهان الحقيقي المتصل بظهور بضائع شرقية، هو أنه لم تكن هناك تجارة من خلال وسطاء ومقاولين متنوعين فحسب، بل كان هناك تعلم وتعليم من خلال اتصالات مباشرة؛ وهذا يكمن في تَبَنّي مهارات فنية جديدة لا يمكن أن تنبع من مجرد شراء المنتجات

الجاهزة ببساطة. و هذا ينطبق على فن صائغي الذهب و صانعي المجوهرات[٣٩] بالإضافة إلى النقش على العاج، وخاصة، على الأشكال المختلفة للأعمال البرونزية سواءً بالطرق أو بالصب بأسلوب "النواة الضائعة". ويُبيِّنُ استبدال المادة الإسفلتية في الفن الشرقي بالصمغ والنخالة إبداع الصناع وذلك بالتكيف مع المتطلبات الجديدة[٤٠]. جاء فن صناعة قوالب الأشكال الفخارية، وهو أبسط الفنون وأكثرها إنتاجية، من بلاد الرافدين وسورية. لقد ظهر هذا الفن في كورتين وكورينث بعد العام ٧٠٠ مباشرة[٤١]. وبالطبع فمن الممكن الافتراض بأن بعض الإغريق قد دخلوا إلى عالم الحرفة برعاية مهنيين من أصل شرقي؛ إما من المينا في سورية أو من تارسوس؛ ويؤدي هذا من حيث المبدأ إلى النتيجة نفسها. ولا تتضمن أية حالة من الحالات السابقة اتصالات تمت عن بعد، وإنما تعاوناً مكثفاً ذا اتصالات مفصلة في فترة التدرب على الصنعة على الأقل. هذا و تُرَجِّحُ الاكتشافات الكريتية إمكانية هجرة الصناع إلى العالم الإغريقي دون أن تستبعد إمكانية الرحلات الفردية في الاتجاه المعاكس.

إن افتراض وجود مهنيين شرقيين مهاجرين يُقابَلُ بالنقد من كل من علماء الآثار الكلاسيكيين والمستشرقين في بعض الأحيان. فبينما ينحى علماء الآثار، بسبب طريقتهم، إلى إظهار العناد ويقدمون ما هو شخصي على ما هو متاح حيث تحدث القصص عندهم بطريق الصدفة[٤٢] غالباً؛ فإنه يبدو للمستشرقين بأن صورة المُغامرة الحرة الموجودة في عصور الظلام غير منسجمة مع القوة الملكية و البيروقراطية التي كانت سمة الحضارات الشرقية[٤٣]. وهنا في الحقيقة يَكْمُنُ الفرق الواضح بين التراثين الغربي والشرقي. لقد بيَّن هومر في شعره عن العمال الحرفيين بشكل جلي (Od. 17.383-385) demioergoi بأن هؤلاء المهنيين معروفون بحركتهم ويعود الفضل في ذلك لمهارتهم؛ فهم في ذلك بعكس السكان الفلاحين والنبلاء أصحاب الأراضي. وطبقاً لبلوتارش، فإن سولون أدرك هذه الحقيقة وشجع هجرة الحرفيين إلى أثينا. إن المصطلح الذي نستخدمه هنا لهذه الهجرة[٤٤] " هو "تغيير السكن من أجل معرفة الصنعة". في نفس الوقت، سعى طاغية كورينث وراء الحرفيين؛ وجذب ثيميستوكلس الصناعيين فيما بعد، وذلك من خلال تقديمه عرض لهم يُعفيهم بموجبه من الضرائب

"وبذلك يستطيع أكبر عدد ممكن من الناس أن يقيموا"[٤٥]. وإذا ما حكمنا اعتماداً على أسمائهم مثل أماسيس وليدوس وفريغوس، فإنه سيتبيَّن أن صناع الفخار ورسامو المزهريات قد هاجروا على ما يبدو من مصر و ليديا وفريجيا[٤٦] في القرن السادس. وبالنسبة لأرسطو، فإن القاعدة العملية هي أن الحرفيين هم مهاجرون غير مواطنين؛ ولقد تحدث أرسطو أيضاً عن العبيد كحرفيين[٤٧]. وإنه لمن المؤكد أنه حيث توجد المهارات المهنية، التي تتطلب مؤهلات عالية، فإنه لا يمكن طرح موضوع العبيد. لقد كان مصطلح[٤٨] "المهاجرون المهنيون" مصطلحاً عاماً في الزمن الهيليني. أما في الشرق السامي، وعلى الأقل في هذا الوقت من الزمن، فقد كان الحرفيون مَقبولين بدون جدلٍ أيضاً. كتب جيسس سيراش عن المهنيين قائلاً: "وحتى عندما يعيشون في بلد أجنبي فإنهم لن يجوعوا[٤٩]". وقد أصبح تاريخياً صانع الخيام التراسوسي واحداً من أكثر الرحالة تأثيراً؛ فهو رسول بولص.

وبالعودة إلى العهد التاريخي القديم، فمن المفترض وجود المهنيين الآشوريين في أورارتو[٥٠]؛ وبنفس الطريقة، انتشرت صناعة المعدن في سيثيانس واتجهت منها بعيداً إلى آسيا. يتتبع التراث القديم تَخَطّي المهن الإغريقية إتروريا إلى ديماراتوس الكورنيثي الذي كان يَدّعي بأنه والد الملك تاركوينيس؛ ويقال أن مجموعة من المهنيين ساروا وراءه[٥١]. حتى وبدون دعم هذه القصص التراثية، فإنه لمن المؤكد أن صناع الفخار ورسّامو المزهريات الإغريق قد أوجدوا أنفسهم في عدة مناطق غير إغريقية بإيطاليا. ومن ناحية أخرى، فقد كان الحرفيون المهرة مطلوبين ومُقَدّرين جداً في الشرق نفسه. ولهذا السبب بالتحديد، كان الحكام يحاولون السيطرة على الحرفيين بوسائل بيروقراطية قدر الإمكان. فقد كان عند سولومون فرقة كاملة من الصناع وكانوا يُستَغلّون لخدمة ملك هيرام في صور حيث تم إرسالهم إليه لبناء معبد[٥٢]. وبطريقةٍ مشابهه، تروي قصة أحيقار أن ملك مصر طلب مهندساً معمارياً من حاكم نينوى[٥٣]. وعندما بنى ملك سارغون قصره في خورشباد على النمط "الحثّي الهيلاني"، كما بيَّن في كتاباته[٥٤]، ربما لم يتردد بطلب الحرفيين المناسبين من شمال سورية. كما تُظهر الوثائق من ماري بأن الملك كان يُنظم الحرفيين كفرق متنقلة وجاهزة للانتشار

عندما يُطلب منها ذلك [٥٥]. وتقول أسطورة بلاد الرافدين أن بطل الطوفان لم ينسى أن يحتفظ بمكان للحرفيين في السفينة[٥٦]. هذا وتشترط المعاهدة الحثية بوضوح تسليم اللاجئين الحرفيين إلى حكوماتهم[٥٧]. وتشير هذه المعاهدة بوضوح إلى قصور التنظيم المركزي: غالباً ما يضع الحرفي، الذي يفر، في حسبانه موضوع توفر فرصة له بالحصول على عمل مستقل في أي مكان جديد يذهب إليه. وقد تحدثت رسائل من ماري عن مهندس معماري أو حداد "غادر"، على ما يبدو، بإرادته الحرة وأن الحكومة لم تأخذ أي إجراء ضده[٥٨]. وهذا برهانٌ واضح على أن المؤهلين المختصين لم يكونوا محرومين من التنقل كما كان عليه الحال سابقاً في العصر البرونزي في الشرق. وإن مغامرات الطبيب ديموكيدس، الذي كان في زمن داريوس، لم تكن مختلفة. يروي هيرودوتس: بأن الطبيب قد عاد إلى وطنه الأم مخالفاً إرادة الملك العظيم، ولم يكن بوسع الملك استعادته[٥٩]. هذا وقد وجد الكثير من المختصين الإغريق والحرفيين، من كل الفئات بالإضافة إلى المرتزقة، طريقهم إلى القصور الشرقية وإلى نبوشادنيزر في بابل[٦٠] و إلى داريو في بيرسيبوليس[٦١] في ذلك الزمن.

وخلاصة القول هي أنه كان عند الحرفيين في الشرق فرصة لحرية الحركة لبعض الوقت بسبب محدودية تأثير الحكام المستبدين. أما في الغرب، فقد تم تطوير هذه الحركة خلال فترة تأثير الشرق. ويُفترض أن يكون هذا العامل عنصراً قوياً ومحفزاً للهجرة إلى الغرب الذي يتمتع بحرية أكثر. لقد تم تنظيم الحرفيين الشرقيين على شكل نقابات عائلية كأبناء الحرفيين في بابيلونيا وأبناء مؤسسات الرجال(bn nsk) في سورية[٦٢]. وقد كفلت منظمات كهذه أشكالاً من الدعم المتبادل من المفترض أن يعمل لمنفعة هؤلاء المهاجرين بشكل كبير. حتى وإن كانت المغامرة الحرة في المهن من مخترعات فترة تأثير الشرق، فقد كان الشرقيون جزءاً منها بالتأكيد.

هناك عنصر متحرك يجب عدم إهماله ألا وهو فرق المرتزقة الذين يكسبون عيشهم في خضم صعود وهبوط الإمبراطوريات. نعرف شيئاً ما عن المرتزقة الأيونيين والكاريين لبساميتيكوس[٦٣]؛ أما أنتيمندياس، شقيق ألكيبس، فقد خدم كمرتزق عند البابليين وكذلك فعل شاراكسوس، شقيق سافو، حيث خدم كمرتزق عند المصريين[٦٤]. أما إن كان كريثي

وبليثي، اللذان كانا يعملان على حراسة داوود، هما من كريت، و أنهما قد خدما معاً عند الفلسطينيين فذلك أمر أقل توكيداً[٦٥]. وإنه ليغلب الظن أن آل كاريم، الذين ثبت وجودهم في القدس في القرن التاسع، كانوا في الحقيقة كاريين من آسيا الصغرى. وعلى أية حال، فقد لعب الجنود الكاريون فيما بعد دوراً هاماً في مصر القرن السابع و السادس[٦٦]. ولم يكن هناك نقص في أعداد الإغريق الذين كانوا يجربون حظهم في الشرق في ذلك الوقت. حتى وإن بقيتْ قضية إيماني الأشدود[٦٧] غير مؤكدة، فإن سلاح المشاة، الذي أصبح قيد الاستعمال عند الإغريق في القرن الثامن، كان مرتبطاً لدرجة كبيرة بأسلحة الآشوريين والأورارتيين. ولتقديم إيضاح عن درع كوركون، كما جاء وصفه في الإلياذة، فبإمكان المرء استعمال مثال من أولمبيا ويضعه جنباً إلى جنب مع ذلك الذي من كارشيميش على الفرات[٦٨]

الكتابة و الأدب في القرن الثامن

بالنسبة لتاريخ الثقافة العامة، فإن أهم انجازات فترة تأثير الشرق هي تَبَنّي الإغريق للكتابة الفينيقية وتكييفها البارع مع الأصوات الإغريقية[١]. يمكن أن تُمثل هذه الظاهرة أنموذجا لنقل الثقافة في ذلك الزمن. وبما أن الاستعارة من الساميّة لا تقبل الشك، فإن التطور الإبداعي الذي قام به مبدعون إغريق ليس أقل وضوحاً. و إن التاريخ الهام لهذه الاستعارة، والذي تم تحديده الآن، هو بعد انهيار الثقافة الميسينية على أن لا يزيد ذلك التاريخ عن منتصف القرن الثامن .

وبالنسبة لنا فإن أحرف الكتابة الإغريقية هي أول نظام كتابة كامل ؛ فهي أول كتابة أبجدية تستعمل رموزاً للأحرف الصوتية و الأحرف الساكنة بشكل ثابت، في حين كانت فيه الكتابة السامية وما تزال مهتمة بالأحرف الساكنة بشكل أساسي. وإن ما يؤكد كمال الكتابة الإغريقية هو نجاحها في الغرب. ومع ذلك فقد انبثق في الحقيقة الاختراع الجليّ، هو رموز الأحرف الصوتية، من عدم الفهم لنظام صوتي مختلف. فعندما تعلم الإغريق التسلسل الأبجدي للنظام السامي ومبادئ استعمال الصور كرموز لأشياء تقدم تمثيلاً صوتياً للصوت

الأول من الاسم، وجـدوا أن كلمة مثل ألفـا تبدأ بصوت/ وليس بوقـف فـي الحنجرة أو الحلق، ووجدوا أن هذا يُرْمَزُ له بالسامية بـ أَلِف[٢]. إن الإبداع المقصود لحرف إضافي للأحرف الصوتية الخمسة، وهو حرف Y ، وهذا الأخير غير موجود في النموذج السامي ولذلك تم وضعه في نهاية السلسلة، لهو دليل على الإبداع المُتعمَّد لبعض الإغريق المخترعين. ولقد ظهر الحرف Y في كل الأبجديات الإغريقية وكل الأبجديات التي اشتُقت منها بما في ذلك الأبجدية الفرجيانية[٣] واللاتينية.

بالنسبة لزمان ومكان تَبَنّي الفينيقية، يقول هيرودوتس[٤] بأنه قد تم استعمال الأحرف الأصلية. هناك الآن عدة أدلة، ولكن ليس بأقل منها أسئلة مفتوحة؛ إذ يمكن للاكتشافات الجديدة أن تُغيِّر الصورة. ترجع أول الحروف الإغريقية، التي عُرفت حتى هذا التاريخ، إلى زمن ناكسوس وإيستيا وأثينس ويوبي حيث ظهرت حوالي أو قبل العام ٧٥٠ بقليل[٥] وهذا التاريخ يتناسب تماماً مع العلاقات التجارية للإيونيين مع سورية عبر يوبي ومنه إلى الغرب. وُجد في إيسيشا كتابات و صور إغريقية على الجدار إلى جانب كتابات وصور فينيقية - آرامية جداريه، حتى أنه لم يكن التحديد اللغوي ممكناً في واحدة منها. وأخيراً فقد تم اكتشاف كتابات وصور جداريه إغريقية على كسر آنية فخارية تعود للمينا[٦] في القرن الثامن. ولقد نشأت تعقيدات من الأحرف الإضافية التي تم وضعها في الأبجدية الإغريقية بعد إضافة حرف Y. ففي هذا المضمار على وجه الدقة، اختلفت لهجة الكالكس اليوبيين عن لهجة سكان أثينا حيث أن الحرف x ينقل الصوت kh في لهجة الأتيك ولكنه ينقل الصوت x في لهجة الكالكس، و ينطبق هذا الأمر على المستعمرات الغربية وأخيراً على اللغة اللاتينية. ويبدو طبيعياً أن تكون الأبجدية الشالسيدية و الأبجدية الأتيكية مسبوقة بواحد من هذه الأحرف الأبجدية "الحمر" التي لا تحتوي على أي من الأحرف المضافة؛ وهذا ما كان عليه الحال في كريت وميلوس وثيرا. و لكن لا توجد لدينا وثائق عن الكتابة من هذه الأماكن تعود للقرن الثامن حتى الآن، وإنه يمكن استدعاء الاستنتاج[٧]. فهنالك الكثير من الأشياء التي تدعم الفكرة القائلة بأن قبرص قد لعبت دوراً كمحطة وسيطة في نقل الكتابة.

ويبدو أن التصميم المتميز للأحرف الإغريقية على غرار الأحرف الفينيقية يفترض مسبقاً وجود كتابات أخرى كانت معروفة و كانت الفينيقية مختلفة عنها. هذا ما كان عليه الحال في قبرص فقط حيث تم تكييف أبجدية خطية من النمط الكتابة الميثيني وتم إدخاله إلى اللغة الإغريقية واستمر ذلك الوضع حتى الأزمنة الهيلينية. وإن أول وثيقة معروفة لاستخدامها في الإغريقية يعود تاريخها إلى القرن الحادي عشر[٨]. ومن الواضح أن كتابات الخط أخذت اتجاهاً من اليسار إلى اليمين و هذا الاتجاه، الذي قُدِّر له أن يسود في الكتابة الإغريقية والكتابة التي جاءت بعدها، يغاير الاستعمال السامي. وعلى أية حال فإن ممارسة تبديل اتجاه الكتابة من سطر إلى آخر، الذي كان يسمى bustrophedon، أي (تغيير طريقة الكتابة حيث تكون السطور من اليمين إلى اليسار و من اليسار إلى اليمين بشكل متبادل)، كانت موجودة في بدايات الكتابة الإغريقية كما كانت موجودة أيضاً في بعض الوثائق الفينيقية و كانت سمة عامة في هيروغليفيات المملكة الحثية الثانية[٩]. وبالطبع و على الرغم من وجود رسالة حجرية واحدة مكتوبة فقط في المينا حتى الآن، فمن الممكن أن تكون الكتابة الإغريقية قد تطورت في سورية أيضاً. ومن الممكن أن نستمر بالنظر إلى كريت، ليس بسبب الكتابة الفينيقية على الأواني التي وصلت إلى قبر في كنسوس حوالي العام ٩٠٠، و إنما بسبب الصلات الوثيقة الخاصة مع الحرفة و الحرفيين الشرقيين منذ حوالي العام ٨٠٠. هذا و قد تم أيضاً تدوين القوانين كتابةً في كريت قبل أي مكان آخر في بلاد الإغريق[١٠]. ومع ذلك لا يوجد أي دليل من كريت حتى الآن ينافس الرسائل الحجرية المكتوبة من عالم الآيونيين. وعلى أية حال، فإن ليليان جيفري[١١] دحضت وبقوة الحجة التي تم استخدامها بنجاح عظيم في وقت ما، والتي تقول إن الخلافات التي تظهر من البداية بين أبجديات الإغريق تفترض مسبقاً "تطوراً طويلاً" امتد لعقود إن لم يكن لقرون. إن ما يسمى بالتطور، أو لحد ما عملية افكرة أنتي تتضمن بعض الأخطاء في النسخ أو النزوات الشخصية للأيدي أو بعض الإضافات المقصودة، حدثت بسرعة فائقة في غضون عقود إن لم تكن سنوات؛ ووصلت تقريباً إلى الفيرجيانين من جهة والأتروسكانيين من جهة أخرى في نفس الوقت.

ما يزال بعض دارسي السامية يدافعون عن فكرة أن الأبجدية الإغريقية هي أقدم من الفينيقية، معتمدين بذلك على تفاصيل معينة لتشكيل الحرف[١٢]. وعلى أية حال فإن اكتشافات الكتابات الفينيقية - الآرامية في سوريا، وهنا على المرء أن ينظر إلى شمال سوريا أكثر من فلسطين، ما تزال ضئيلة ولا تسمح لنا بالحصول على تسلسل محدد لأشكال الحروف التي نريد إثباتها؛ ويمكن لأي اكتشاف جديد أن يُغير الصورة[١٣]. ومن ناحية أخرى، فقد أصبحت الحجة من الجانب الإغريقي أكثر تأثيراً. لم تُكْتشف من خلال الكميات المتزايدة من الخزف الإغريقي الهندسي التي يمكن تصنيفها وتأريخها بدرجة معقولة من الدقة حتى الآن كتابة واحد تشبه حرفاً إغريقياً قبل العام ٧٧٠ ، بينما توجد وثائق كثيرة جداً في العقود مابين العام ٧٥٠ إلى حوالي العام ٧٠٠ قبل الميلاد، فقد حصل هنا انفجار ثقافي؛ ولا يوجد شيء يوحي بأن الأبجدية الإغريقية كانت مخبأة لقرون قبل ذلك التاريخ. وهكذا فإنه يبدو أن وجود الكتابة الإغريقية في القرن العاشر وحتى في القرن التاسع قبل الميلاد، اعتماداً على وقائع الأشياء، كان شيئاً مستحيلا. وأما مكان التَبَنّي فما يزال مفتوحاً تقريباً. وإن إشارة الإغريق "للفينيقيين" لا يمكن أن تعني الفينيقيين بالمعنى الأضيق، أي أن سكان بعلبك وصيدا وصور، يجب أن يكونوا هم المصدر. ويبقى الفينيقيون والآراميون من شمال سوريا خياراً مساوياً مقبولاً و بالدرجة نفسها.

بالنسبة للطريقة التي تم من خلالها نقل الكتابة، فهناك دليل لا يقدر بثمن حتى الآن تم تجاهله ألا و هو الأسماء الإغريقية للأحرف (ألفا - بيتا - غاما و هكذا) وتسلسلها الذي لا يمكن تغييره؛ فهذه كلمات ساميّه، بمعنى ثور وبيت و هكذا، وليس لها أي معنى مطلق بالإغريقية. وتم الاحتفاظ بها لسبب واحد خاص وهو أن تعليم القراءة و الكتابة قد بدأ بتَعلُم هذا التسلسل عن ظهر قلب. وهذا يعلل أيضاً السبب المبكر جداً لظهور التسلسل الموحد للأحرف الأبجدية في كتابتيّن ساميّتين مختلفتين تماماً، ألا وهما الأبجدية المسمارية الأوغاريتية، التي تم إثبات وجودها في القرن الثالث عشر، والأبجدية "الفينيقية" والتي تم الكشف الآن عن دليل وجودها منذ بدايات القرن الثاني عشر[١٤]. وحتى عبر الحواجز

اللغوية، فإن نفس التسلسل التّذكري تم تَعلُمه بالإعادة بنفس الطريقة. ولقد ظهر لأول مرة، مع ظهور الكتابة الأبجدية ، نظام كتابة بسيط جداً يمكن أن يستعمله كل الناس من ذوي الذكاء العادي حتى خارج حلقات كتاتيب التعليم المهنية حيث يستطيع الناس من خلال هذا النظام أن يدرسوا لوقت قصير ويحصلوا على القليل من الممارسة في الكتابة. وبإمكاننا تشكيل بعض الصور لتعليم الكتابة في منطقة سورية وفلسطين[١٥]. عندما نقرأ في فترة متأخرة جداً عند جوزيفس بأن "الفينيقيين هم أكثر الناس الذين استخدموا الكتابة في تعاملهم مع الإغريق وذلك للأغراض الخاصة وللأعمال العامة أيضاً[١٦]"، إنه كان يشير إلى تعليم تقليدي يعود إلى ألف عام. إن ما يمكن استنتاجه هو أن المخترعين الأوائل الذين استخدموا هذه الحروف كرموز للغة الإغريقية قد ساهموا على الأقل بدرس واحد في المدرسة ؛ سواء كان هذا التعلم من النموذج الآرامي أو الفينيقي، وسواء كان ذلك في سورية أو في قبرص أو ربما كان ذلك في مكان آخر مع المهاجرين الذين حصلوا على تعليم ابتدائي. ويعطينا ذلك دافعاً للتفكير ملياً بالصدفة المحضة التي تقصي الدليل المتوفر لدينا. إن أسماء الأحرف السامية ألفا، بيتا وغيرها وردت في الأدب الإغريقي في أوائل القرن الخامس في أكبر تقدير[١٧]، ولكن يُفترض أن تكون هذه الأسماء قيد الاستعمال منذ القرن الثامن عندما تم تَبنّيهم مع الأبجدية الأصلية ؛ أي أنه يستحيل تماماً أن يكون ذلك النموذج من الكلمات، التي لا معنى لها، قد دخل إلى الإغريقية في أي وقت آخر بعد ذلك التاريخ. كما يمكن للأبجدية اللاتينية أن تقدم برهاناً مضاداً ؛ فالذين كتبوا باللاتينية، لم يتبنوا التسلسل التّذكري الفينيقي القديم، بل تركوا الأصوات المتحركة لأنفسهم وأضافوا الصائت إ (e-vowel) إلى الأصوات الساكنة ؛ كما فعل الإغريق مسبقاً بأحرفهم التي أضافوا عليها Ω γ من ناحية و Ψ Φ χ فلفظوها "في phee" و"خي khee" و"بسي psee" من ناحية أخرى. ومع ذلك فقد بدأ اللاتينيون والرومان مدارسهم بتعلم الأحرف إ، ب، س - كما نزال نفعل اليوم. و من الملاحظ اليوم أن الإغريق قد ظلّوا في هذا المضمار أقرب إلى المدرسة التقليدية الفينيقية - الآرامية أكثر من قرب اللاتينية إلى الإغريقية.

وهكذا إنه لواضح أن تَبَنّي الإغريق لأحرف الكتابة الفينيقية كان أكثر من مجرد نسخ الأشكال؛ لقد تَضمن ذلك نقل فن تعليم وتعلم كيفية القراءة والكتابة. وهذا يَفترض مسبقاً وجود علاقات وثيقة، الأمر الذي تدل عليه بعض الأشياء التي لم تظهر من خلال التدقيق الآثاري ومع ذلك تبقى أكثر أهمية لتراث الكتابة من اللوحات الفردية على الألواح الحجرية إنها: الألواح ورقاقات الجلد مع ما يناسبها من أدوات الكتابة. ومن المفترض أن تكون هذه الأشياء قد رافقت استعمال الخط الإغريقي منذ البداية. و قد احتفظ لوح الكتابة، الذي يُدعى في الإغريقية ديلتون delton، باسمه السامي حيث أنه يُدعى دالتو daltu - daleth في العبرية، كما آنه احتفظ باسم الشمع الخاص الذي كان يغطيه و الذي يُدعى malthe. أما كلمة دالتو Daltu فتعني بالأصل باب، و لكنها استُعملت مسبقاً في كتابة الألواح في أوغاريت في القرن الثالث عشر، وكذلك إستُعملت بنفس الطريقة بالعبرية فيما بعد[١٨]. استُعملت ألواح الكتابة الخشبية في بلاد الرافدين وكذلك في سورية وفلسطين. ويُعدّ اكتشاف لوح نموذجي في آثار مُدمرة في القرن الرابع عشر في أولو بورون قرب كاس في تركيا حدثاً هاماً حتى ولو لم يكن هناك أي أثر للكتابة التي كان يُستعمل من أجلها. لقد تم منذ زمن بعيد التعرف على الألواح المصنوعة من العاج في قصر سارغون في النمرود (Nimrud)[١٩]. آما في بلاد الإغريق، فقد ظهرت ألواح الكتابة المطوية مع قصة بيليروفونوتس عند هومر في سياق الفكرة العامة عن "الأحرف القاتلة"[٢٠]. صحيح أن أقدم الأدلة المباشرة على كلمة ديلتوس deltos وردت عند ايسكلس، ولكن الإشارة إلى "الديلتوس البرونزي" كمصطلح للقوانين المقدسة القديمة يجب أن يعيدنا إلى القرن السابع أو القرن السادس[٢١]. ومن الملاحظ أن كلمة ديلتوس deltos تحمل ويشكل متماسك الحرف المتحرك إ (e) في الإغريقية العادية وهذا بخلاف الحرف آ (a) دالتو (dalut) في السّامية. إن التشويه الخفيف لتلون الأحرف المتحركة ليس مدهشاً في الكلمات المستعارة، ولكن "e" هي من خصائص اسم الأحرف الإغريقية دلتا delta التي تعيد إنتاج نفس الكلمة الساميّة. وبالمقارنة بالكتابة القبرصية المقطعية التي بقيت غير مدركه للأبجدية الإغريقية القياسية فإن الشكل المُتوقع للوح الكتابة هو دالتوس

daltos وهو أقرب إلى السامية، وذلك لأن الفينيقيين قريبون جداً من قبرص[٢٢]. يُظهر المصطلح الإغريقي العادي للوح الكتابة واسم الحرف تماماً نفس المسخ و هذا يشير إلى أن كليهما ينتمي إلى الآخر منذ البداية؛ وبكلمة أخرى فإن دلتوس deltos في بلاد الإغريق قديمة قِدم الأبجدية الإغريقية

لقد كانت الكتب متداولة في المنطقة الفينيقية الآرامية على شكل لفافات من الجلد. ويقي هذا الشكل إلزامياً كحالة خاصة للتوراة الإسرائيلية. ولقد شقت "رقاقة الكتابة" الآرامية طريقها إلى بلاد الرافدين و أصبحت الإدارة الآشورية عملياً غير قادرة على الاستغناء عنها حتى عندما كانت "ألواح الكتابة" التي كانت أقدم وأقل عملية محتفظة بمكانتها العالية ومميزاتها، فقد أصرت الكتابة المسمارية القديمة ذات المكانة المعتبرة على ميزاتها و ما تزال تحتل منزلة عالية. و هكذا فإن إدارة الإمبراطورية الآشورية كانت تعتمد على لغتين أو لحد ما على كتابتين[٢٣]. احتلت الآرامية الصدارة كلغة الإدارة مع أكيمنيدس الفارسي، ومن بعدها أخذ يطلق عليها المختصون الجدد اسم "الآرامية الإمبراطورية" (Reichsaramaisch) لقد أذعن حتى داريوس للرأي التقليدي القديم ووجد أنه من الضروري أن تكون هناك مسمارية فارسية. و قد استمر الفرس باستعمال الرقاقات لأسباب عملية، فهناك مكتبة من رقاقات الجلد في بيرسيبوليس التي حرقها الأسكندر[٢٤]. ولقد سبق و أن أشار أركيلوكس إلى رقاقات الجلد التي تُلَفُ حول عصا خشبية في بلاد الإغريق في القرن السابع و ذلك عندما كان يضع مقدمة لقصيدته بمصطلح يُثيرُ الاستغراب ألا وهو العصا. إنه لمن المُسَلَّمُ به أن هذا المصطلح كان غامضاً حتى للقارئ الإغريقي في العصور القديمة المتأخرة[٢٥]. يقول هيرودوتس في إحدى كلماته أن الأيونيين كانوا وما يزالون يُسمّون كتب البردي دفتيريا (diphtheria) أي جلود، حتى أصبحت هذه الكلمة تدل على الكتب في بداية التعليم. و للتأكد فقد ظهرت دلائل أكثر قدماً على ذلك حيث تم رؤية كلمة دفتريون diphtherion بمعنى الصدفة.يسي" في رسائل تجارية من مستعمرة ميلسيان في أولبيا في القرن السادس؛ وتبين هذه الكتب الفرق بينها وبين الأوراق المنفردة المصنوعة من الرصاص و التي كانت تُستعمل كرسائل[٢٦]، و هذه اللوحة الرصاصية كانت معروفة باسم

molibdion. ومن النادر أن تكون الإشارة إلى كتب المنجمين بكلمة دفتريا[٢٧] في القرن الخامس من قَبيل الصدفة . ومن المحتمل أن هذه الكتب ما تزال واحدة من أقدم الأشياء استعمالاً للكتابة. فعندما أخذت الاتصالات تتكرر أكثر فأكثر مع مصر، أصبح ورق البُردي يسيطر على مواد الكتابة لأنه كان أرخص و أخف وزناً. وكان يُسمى هذا الورق بعلبك وذلك بسبب الموقع التجاري الفينيقي لمدينة قبلة - بيبلوس، أو كارتس chartes وهي كلمة أجنبية غير معروفة الأصل. يبدو أن ورق البردي أصبح متوفراً في بدايات حقبة بسامتيكوس و ذلك حوالي العام ٦٦٠، أو أغلب الظن عندما استوطن الإغريق في ناوكراتيس حوالي العام ٦٠٠. و المفاجأة هي أن التطور الهام للتعليم قد سبق هذا التاريخ حتى في أيونيا، وقد انعكس هذا على اللهجة المحلية التي التزمت بمصطلح دفتريا لرقاقة الجلد .

أنتجت المسمارية الأكادية جنباً إلى جنب مع الآرامية و الفينيقية والكتابة الأبجدية الإغريقية سلسلة متصلة من الثقافة المكتوبة. وقد انتشرت هذه الثقافة من الفرات إلى إيطاليا في القرن الثامن. ولم توجد الألواح الحجرية المسمارية في مكان بعيد وصل إلى سورية فحسب، و لكنها وجدت في قبرص وفي تارسوس حيث كان من المؤكد وجود الإغريق هناك. وبالذهاب قليلاً إلى أقصى الشرق، فإننا نجد في غوزانا بتل حلف رجل أعمال يدير مراسلاته جزئياً بالمسمارية وجزئياً بالآرامية ؛ في حين أن المجتمع الذي يتكلم الآرامية، مثل هوذيرينا- سلطانتي قرب حَرّان، كان يحتفظ بمكتبة للأدب المسماري. يمكن للمرء أن يتبع عادة كتابة العقود بدءاً بالمسمارية فالآرامية و العبرية حتى الفترات الإغريقية الكلاسيكية الهيلينية[٢٨]. هذا وقد لفت كارل ويندل الانتباه إلى الروابط التي تذهب إلى ما وراء وثائق العمل فقال: لقد ربطت عادة الكتابة، بشكل خاص، تصميم الكتب الإغريقية في فترة متأخرة بطريقة الكتابة في المسمارية ؛ وإن أسلوب الإشارة إلى اسم الكاتب أو المؤلف وعنوان الكتاب في النهاية و ذلك بعد آخر سطر من النص إنما هو تطابق تفصيلي و حصري ؛ وهذا التناظر يُثبت اعتماد الأسلوب الأدبي الإغريقي الكلي على أسلوب بلاد الرافدين. وإنه لمن الضروري الافتراض بأن الرقاقات الجلدية قد شكّلت صلة الوصل[٢٩].

وعلى أية حال فإننا نُواجه هنا بالحالة الكارثية للاحتفاظ بالشيء. فلقد ضاع كل الأدب الآرامي والفينيقي وتلفت معه المواد التي كُتِب عليها و التي كانت هي نفسها عرضة للفناء كالخشب والجلد. ولقد استثني من ذلك الضياع ذلك الفرع الصغير في إسرائيل الذي تطور إلى الكتاب المقدس وبذلك تم الحفاظ عليه كنص مقدس. ومع ذلك فهناك دليلان يُبينان أن النصوص الأدبية المسمارية قد أثرت فعلاً في الأدب الآرامي المكتوب على رقاقات حيث تم العثور على القصاصات الوحيدة من بواكير النص الآرامي، وهي أجزاء من أحيقار لا تزال موجودة في جزيرة الفيلة. عُرفت قصة أحيقار لفترة طويلة فيما بعد بشكلها الآرامي-السوري وتمت طباعتها بطبعات مختلفة وبلغات مختلفة. تدور أحداث القصة في سورية في زمن الملك سينا شيرب و تستخدم أسماء يحتمل أن تكون أسماءً تاريخية. ووفقاً لكل الاحتمالات، فإن القطعة نفسها قد كُتِبت بعد دمار نينوى. أما الفترة الآشورية فتبدو واضحة بشكل كبير في صورة القصة. إن نقل هذا النص لهو برهان واضح للتراث الممتد من بلاد الرافدين عبر سورية ومنها إلى فلسطين ومصر[٣٠]. وهناك قصة أخرى موجودة عن آشوربانيبال في الآرامية[٣١]؛ يظهر في هذه القصة جلجامش كعملاق أسطوري بين بقايا رقاقات الجلد الآرامية من قمران. ونجد في جزء من الكتاب الآرامي لإنوخ أن الشخصية الرئيسية لأشهر عمل في الأدب المسماري تترك صداها في الكتابة الآرامية في القرن الثالث قبل الميلاد. وبطريقة ما اخترق الاسم جلجامش الأدب الإغريقي[٣٢].

لم تتم بالضرورة كل الاتصالات بين لفافات الكتب الآرامية والفينيقية والعبرية والأدب الإغريقي من خلال دفتريا القرن الثامن قبل الميلاد. و بالنسبة للاتصالات التي جرت فيما بعد، فإن النسخة الإغريقية للكتاب المقدس هي شاهد تذكاري على ذلك. ومن المحتمل أن تكون النسخة الإغريقية لقصة *أحيقار*، التي ظهرت في حياة عيسوب، قد أُنتجت في الزمن الهيليني[٣٣]. ولقلما كان التجار و الحرفيون في إسيشا مهتمين بالكتب بمعناها الأدبي؛ ومع ذلك من الواضح أن من قام بالكتابة على فنجان نيستور هو شخص يعرف شكل كتاب الشعر الإغريقي. وفي كل الأحوال يجب أن نحذر من طريقة الإدعاء الحديث بأن الإغريق تَبَنوا

فقط الأبجدية ممن يُدعَون الفينيقيين، ومن ثم أبدعوا كل ما جاء بعد ذلك من انجازات في ثقافتهم المكتوبة. جاءت ألواح الكتابة و رقاقات الجلد مع الكتابة وأعطت قالباً لتقنية الكتاب ومفهومها. لم يكن هناك ألواح يمكن إزالة الكتابة عنها (tabula rasa)؛ لذلك ضاع الكثير من الكتابة الثقافية السامية بكاملها، حتى أن الاحتمال العام يفترض أنه كانت هناك علاقات أكثر تعددية وأكثر غنى وكثافة مما يمكن أن تشير إليه البقايا الموجودة وغير الكافية. في الحقيقة إن كل اكتشاف جديد في هذا القرن، سواء كان من جزيرة الفيّلة أو قمران أو من كاراتيبي أو دير علي، يُظهر للعيان علاقات جديدة وغالباً ما تكون غير متوقعة[٢٥].

مشكلة الكلمات المستعارة

تجسد اللغة أوضح الأدلة وأكثرها صيرورة عن المؤثرات الثقافية. إن ما تعنيه المسيحية والحضارة الرومانية والثقافة الفكرية والفنية للإغريق في الغرب مازالت تتحدث إلينا من خلال لغتنا الحالية. تُستَعْمَلُ الصورة المختلفة التي قدمتها اللغة الإغريقية، ألا وهي الانطباع عن صفاء في الأصل لم تعكره مؤثرات خارجية، مع بعض التبريرات الظاهرية وذلك لخلق جدل حول وجود مؤثرات شرقية قوية. ويُقال أن العلاقات الثقافية الوثيقة مع الشرق السامي ستُضَلِلُنا وذلك بسبب وجود الكثير من الكلمات الأجنبية و الكلمات السامية المستعارة[١]. وقد تم تقديم النقص في الكلمات السامية المستعارة في اللغة الإغريقية على أنه برهان على نقص في أية اتصالات كهذه.

ولكن الوضع ليس جلياً بهذا الشكل، فهناك على الأقل بعض الكلمات السامية المستعارة الهامة في اللغة الالشرق. في مرحلة ما قبل الهيلينية مثل mnea/mna و التي تعني وحدة قياس وزن و من هنا جاءت بمعنى عملة؛ و kanon أي عصا قياس، و من هنا جاءت بمعنى مسطرة أو معيار بشكل عام؛ و Deltos أي لوح كتابة، و malthe أي شمع اللوح. إن هذه الاستعارات تمثل أوضح دليل يريده المرء على حركة التجارة و الحرفيين و الكتابة في مرحلة تأثير الشرق.

أصبح علم اللغة الإغريقية حقل دراسة الهندو - أوربيين لحوالي قرنين تقريباً؛ ومع ذلك فإن نجاحه أصبح يهدد بتشويه الحقيقة. إن إعطاء جذر الكلمة الإغريقية في كل القواميس السائدة يعني على وجه التحديد إعطاء أصل هندو - أوروبي. وقد سُجلت وبأمانة حتى أبعد الإشارات سواء كان ذلك إلى ما هو أرمني أو لتواني. و على أية حال، فقد تم إعطاء احتمال الاستعارة من اللغة السامية حكماً لا مبالياً؛ وتم رفضه أو ذكره على عجالة بدون توثيق لائق. ومن المعروف أن جزءً كبيراً من مفردات الإغريقية ينقصها جذر هندو-أوروبي مناسب. و لكن درجت العادة على تفضيل العلاقات الافتراضية مع الأساس الإيجي أو المعادلات الأناضولية؛ وهذا يعني التعامل مع عوالم كبيرة غير معروفة بدلاً من متابعة الصلات مع اللغات السامية المشهورة[٢]. وحتى أراد بيلوش أن يفصل روديان زوس أتابيريوس من جبل أتابيريون المساوي لجبل الطور، وهو جبل في فلسطين، لصالح أصوات كلمات أناضولية رنانة غامضة[٣]. وكانت فكرة ضد الشرق السامي ظاهرة في هذه الحالة؛ أما في أماكن أخرى فكانت هذه الفكرة تعمل على مستوى غير مرئي. ولقد أعطى، حتى الهندو - الأوربيون الذين هم من الدرجة الأولى، أحكاماً خاطئة ومدهشة حيث يقول ديبرونر إن عدد الكلمات المستعارة من السامية في اللغة الإغريقية "قليل ولايستحق الأهمية"؛ ويقول ميليت "في الحقيقة فإن هذه الكلمات لا تصل إلى أكثر من شكلين"[٤]. ويبدو أن هؤلاء الكتاب قد نسوا أن أسماء خمسة عشر حرفاً هي أسماء سامية. ومع ذلك فإن إيميلي ماسون في عملها النقدي المحدد وذو المكانة المرموقة (١٩٦٧) قد أثبتت وجود سبع وثلاثين كلمة مؤكدة واثنا عشر كلمة سامية محتملة في اللغة الإغريقية. أما أوزولد سزيمبريني، وباستعماله مقياس أقل دقة، فقد أضاف دزينة أخرى من الكلمات؛ كما وأنه ليس هناك تقصير في القيام بمحاولات أخرى[٥]. تحتاج بعض هذه المواد تمحيصاً دقيقاً، ولكن يجب أن لا تُستبعد الاكتشافات الإضافية أيضاً. إن هذه الكمية موجودة بالتأكيد؛ وهناك وجود واضح لكلمات سامية عملت اللغة الإغريقية على استعارتها.

ومن الأمور الغريبة أن الهواة المتشوقين لإيجاد اكتشافات جديدة وُصِموا بتهورهم وبتوقعاتهم المندفعة في هذا الحقل؛ وفي حين أن الأحكام السلبية للنقاد قد تمتعت بميزة الحذر الظاهري وطريقة البحث الصارمة. وبإمكان علماء اللغة أن يتقيدوا بالأنظمة الثابتة لتطور الأصوات ضمن نظام مغلق؛ أما الاستعارات فغالباً ما تُستَوحى من التشابهات في الأصوات التي يمكن أن تأتي عن طريق الصدفة. ولكن وبالتحديد فإن مناهج البحث هي المشكلة؛ ترفض اللغة الإغريقية، وخاصة الإغريقية الأدبية التي نعرفها، وبشكل مطلق، استعمال الكلمات الأجنبية غير المكيّفة معها؛ ولكنها تقبل هذه الكلمات بعد استيعابها شكلاً وصوتاً وتصريفاً بشكل تام. ونتيجة لذلك ليس هناك منهجاً علمياً لاكتشاف الكلمات المستعارة؛ فهذه الكلمات تبدأ بالتقليد ومن ثم تختبئ حتى تُكَيّف نفسها مع جذور و نهايات الكلمات في اللغة الإغريقية الأم. وعلى العموم يمكن وضع أساس الكلمات المستعارة وبشكل مؤكد وذلك على أساس التوثيق المفصل من كلا الجانبين[٦] فقط. فكلمة hammock المشتقة من لغة أمريكية هندية أصبحت في الألمانية Hangematte، أي الفراش المعلق، وهذه الكلمة تبدو أصلية بشكل تام. ولكن يستطيع المرء مع نظرة ثانية أو ثالثة أن يتبين أنه، في الحقيقة، ليوجد فراش يمكن آن يتعلق. وهكذا لعب الاشتقاق الشعبي دوراً في التحول حيث يصبح من غير المكن تثبيت قواعد تطور الأصوات. ونادرا ما يكون توافق المعنى تاماً؛ هذا وإن عدم الفهم الجزئي قد يحدث في كل زمان. وهكذا وفيما يخص القرن الثامن قبل الميلاد، يبدو الوضع باعثاً لليأس؛ فالتوثيق الإغريقي منقطع و غالباً ما تحدده حصراً لغة الملحمة الإغريقية العالية التخصص. هذا وقد تم التعرف على اللغات المجاورة من آرامية و فينيقية من خلال كتابات جاءت عن طريق الصدفة بشكل رئيسي. أما باقي التوثيق فهو مفقود. ولإعطاء حكم وجداني، فإن البراءة بسبب نقص الدليل ستكون هي النتيجة مرات ومرات. ومع ذلك فأن نتيجة التبسيط، التي تم الوصول إليها بهذه الطريقة يجب أن تكون زائفة بشكل مطلق. وكما ستُبَيّن الاعتبارات العامة لفكرة الاحتمالات، فإن العالم السفلي للكلمات المستعارة لا يزال موجوداً ومُموهاً ولكنه مؤثر.

بإمكاننا محاولة الدخول إلى ما وراء ألعاب القافية والسجع الخارجي وذلك من خلال الأخذ بعين الاعتبار العلاقات الضرورية إما بين الاسم والشيء المجرد والمهارات، أو العلاقة بين مجموعة من المصطلحات التي تنتمي إلى بعضها بعضاً. الإضافة إلى لذلك، فإن الوحدات الصوتية الخاصة جداً وبشكل خاص متعددة المقاطع وبنية المعنى الخاصة إنما هي مؤشر على النقل الثقافي حتى ولو لم نستطع إيجاد مزيد السياق، وذلك لأن احتمالية الصدفة المتجانسة تصبح صغيرة أكثر فأكثر.

لو نظرنا إلى قائمة الكلمات السامية المُستعارة المُقَرُّ بها في اللغة الإغريقية، فسيظهر لنا أنموذج آخر ألا وهو أن أصول المصطلحات السامية بعينها في التجارة و تجارة البضائع قد تمّ الإقرار بصحتها بكل تأكيد[٧]. أما ما يُشَكّ به فهي الفكرة التي سادت أحياناً عن الفعاليات "اليهودية النموذجية". أما ما بقي مطموساً فهي مناطق المهن والحروب و الثقافة المكتوبة؛ وعلى الرغم من أن هذه قد جاءت في ظروف تاريخية، فمن المحتمل أن تكون أقل أهمية.

إنَّ قائمة البضائع التي تتم المتاجرة بها التي تحمل أسماءً ساميةً لمذهلةٌ حقاً[٨]. تشكل كلمتا Chrysos أي ذهب و Chiton أي ثوب (هذه مرتبطة بكلمة قطن) استعارات هامة؛ فهما دليلان موجودان مسبقاً في وثائق الخط ب الميثيني؛ وإنهما لتقدمان برهاناً على حركة التجارة في العصر البرونزي. و بطريقة مماثلة فقد اخترقت أسماء أنواع أخرى من الخامات اللغة الإغريقية مثل sindon و othone و bussos. وطبيعي أن تدخل أشياء تخصص بها العرب مثل libanos و myrra أي البخور و العود، وبهارات أخرى مثل nardos و kasia و kannabi و kinnamomon ومعادن مثل naphtha وnitron ونباتات مثل krokos وsasaman أي الزعفران والياسمين. إن تعبير Lipa aleiphestthai يعني "أن يدهن المرء نفسه جيداً بالزيت" يمكن أن يتماشى و بسهولة مع nitron[٩]. وإن الكلمة الآكادية للدقيق الناعم المجروش هي samidu قد أصبحت في الإغريقية semidalis وهي ما تزال قيد الاستعمال في الإغريقية الحديثة[١٠]. بالإضافة إلى ذلك فهناك أسماء حاويات ومراكب مثل Kados وSipye. وهناك وكلمة نادرة وهي lekane والتي تتوافق مع laqna في الآرامية. ومن هنا فإن الجذر

الشائع للكلمة قد أنتج شبح نهاية الكلمة في الإغريقية وهو ane[١١] والذي هو قيد الاستعمال في الإغريقية حالياً. إذا كانت كلمة alabastron تنتمي إلى الكلمة الأكادية alagmeshu والكلمة العبرية algabish فإن التوافق هنا جزئي. أما كلمة smaragdas أي زمرد فهي barraqtu في الأكادية وpa-ra-ku في الميسينية و bar qa في الآرامية و marakatam في السنسكريتية. يبدو أنه من غير المجدي محاولة تتبع ممر الكلمة عبر البازار الشرقي[١٢]. و يبدو أن الأوضح من ذلك موجود في كلمة kalche المستخدمة لشكل الأرجوان، التي تشير إلى المهنة بالإضافة إلى التجارة[١٣]. وبالمقارنة، فإن kuanos، وهي مادة زرقاء تُستعمل في التلوين، ترجع بأصلها إلى الحثيية kuwanna[١٤]. هذا و يمكن إظهار مدى تعقيد العلاقات المتداخلة من خلال عرض حالة كلمة kaunakas أي ثوب صوفي. إن أصل الكلمة فارسي ومنها انتقلت إلى الأكاديين وكذلك إلى الإغريق حيث أن رنين الكلمة nakos أي جلد الغنم يمكن أن يكون قد لعب دوراً[١٥].

نجد من خلال نشاطات التجار أنه جاء بعد الكلمة الشائعة gaulos أي سفينة، كلمات لا يمكن استبدالها أيضاً مثل sakko أي كيس، و makellon[١٦] أي سوق؛ والأهم من ذلك كله كلمة وحدة الوزن التي سبق ذكرها وهي الـ منا (mina) وهذه الكلمة هي بالأكادية mana و بالإغريقية mna mnea.[١٧]. و إن مصطلح كلمة دفعة مقدمة أو سلفة هو arrabon لا يبدو أقل أهمية حيث تم تأكيده الآن من خلال رسالة تجارية (SEG 38, 1036) من القرن الخامس. لقد أصبحت كلمة الـ mina واحدة من أكثر الأسماء الإغريقية شائعة الاستعمال للوزن والعمله، وذلك دون أن تفقد طابعها الأصلي الذي هو من بلاد الرافدين. إننا نجد هنا وهنا فقط، وفي الفترة التاريخية القديمة، أن الإغريق قد تبنوا النظام البابلي الذي يعتمد على الرقم ٦٠ ؛ حيث أن ستين minas تساوي تالنت واحد talant. إن هذا المصطلح لوحدة القياس الأكبر وهو التالنت (talanton) ذو أصل إغريقي قديم وهو في الحقيقة اسم هندو - أوروبي. ولقد تم إثبات وجود هذا المصطلح ولو بطريقة غير مباشرة عند الميثينين. ومع ذلك فلا يوجد أثر لوحدة الوزن أو القياس mina ولا للنظام الستيني في أنظمة الوزن

والقياس الميسينية المعروفة. وهكذا فمن الممكن أن نكون على ثقة بأننا نتعامل في هذه الحالة مع استعارة حدثت بعد الميثينين، على طريق التجارة من كاركميش على الفرات إلى شمال سورية حتى اللوويين وصولاً إلى الإغريق.

يُفترض أن تكون العلاقات قد وصلت إلى أبعد مما تم إثباته. فالأهم من ذلك هو أن mina كانت وحدة وزن تُستعمل لوزن الفضة؛ فقد كانت هناك سبائك فضية أصلها من زينيرلي، أما الـ minas فمن الواضح أنه كان لها وزن موحد و تحمل اسم الملك باراكيب اسماعيل زينسيرلي (٧٣٢ - ٧٥٠) محفوراً عليها[١٨]. ومن الجدير ملاحظته أن هذه السبائك قد جاءت سابقة لصك النقود التي بدأت تستعمل بعد قرن تقريباً. إن كلمة Harasu تعني في الأكادية حفر أو نقش أما في الإغريقية فهي charaxai[١٩]. وهذه الكلمة أصبحت فيما بعد مصطلح صك النقود الإغريقية؛ مع أنه في هذه الحالة لم تدل على نقود حقيقية، وإنما قوالب صب النقود وتسمى الآن charakter. يبدو أن المصطلح scratcher يرجع إلى الممارسات التي سبقت صك النقود، وقد ظهرت هذه الممارسة بشكل جلي في وحدات القياس والنقود في زينسيرلي. هل هذه استعارة أم صدفة؟ لقد استعمل الأكاديون نفس الجذر للدلالة على الخنادق المحميّة بسياج harisu، في حين أن جدار السياج أو حتى الأسياج الفردية تُسمى في الإغريقية Charax. ومن المذهل حقاً استعمال نفس الجذر مرتين في منطقتين غير متجاورتين طبيعياً بالمعنى وفي لغتين مختلفتين. إنه لمن المجدي إضافة ملاحظة أخرى هنا حيث يبدو ولحد ما أن الاستعمال التوزيعي لحرف الجر الإغريقي ana في علاقته مع الأعداد، فمثلاً ana dyo "كل اثنين"، قد نُزع عن المعنى الأصلي لهذا الحرف، أي "للأعلى" ولكنه يتوافق تماماً مع حرف الجر الأكادي ana[٢٠]. هل هذا نوع من العامية السورية في التجارة التي تشبه استعمال الحرف a الفرنسي بطريقة مشابهة في الحساب الألماني؟

وبالعودة إلى ما هو مؤكد ومعروف على وجه العموم، تبدو كلمة kanon على أنها أوضح مثال عن الاستعارة. وبالطبع فإن المعنى العام لكلمة عصا أو قضيب هو Canna؛ وهي كلمة لا تزال موجودة في عالم البحر الأبيض المتوسط. أما الاستعمال التخصصي لهذا

المصطلح بمعنى قضيب القياس، والذي هو في الأكادية qan mindati وفي العبرية q'neh hammiddah، فإنه أقل طبيعية؛ ولكن ما هو مؤكد حتماً هو أنه لن يَفترض أحد أن الأغريق جاءوا على معنى "قضبان" من عندهم كلياً[٢١]. وعلى أية حال فإن ظهور المصطلح في الإغريقية يعني أن هذه الأداة الأساسية وأن مفهوم تشييد البناء قد تم استيرادهما. وبالإضافة إلى ذلك فهناك المصطلحات titanos أي كلس[٢٢] و gypso أي جبصين[٢٣]؛ والأهم من ذلك فإنه يبدو أنه حتى كلمة القرميد الفخاري plinthos قد جاءت من الأكادية libintu أوlibintu[٢٤]. وهكذا فإن المصطلحات العمرانية الأساسية لبلاد الرافدين قد وجدت طريقها إلى بلاد الإغريق. وبنفس الطريقة التي تَعلم بها الألمان بناء الجدار الصلب من الرومان حيث أن كلمة Mauer مشتقة من اللاتينية murus مقارنة بعازل فضفاض وكلمة Wand أي مصنوع من العُصيّ، فقد تعلم الاغريق فن بناء الجدران ليكون من القرميد والكلس والجبصين من الحِرَفيين الشرقيين؛ حتى أن كلمة فأس axine تتصادف مع الأكادية hassinnu[٢٥]، وأن كلمة كشك وثكنات وخيمة التي كان لها مسيرة لامعة، وإن كلمة skana/skeene التي جاءت منها كلمة مشهد هي على الأغلب الكلمة maskanu الآرامية - السورية[٢٦] وهي من الجذر الأكثر شيوعاً وهو sakanu أي "ينصب". أما ما يبقى بدون جواب فهو هل جاءت الكلمة في مجال المهنة أم الجيش؟ يشكل التعبير المُمَيّز للحرفيين "أبناء الصنعة" عنصراً عاماً آخر[٢٧]. ومن المحتمل أن تكون الكلمة الرنانة الفخمة cheironax أي الحرفي، والتي تعني حرفياً "سيد الأيدي"، قد تم استعارتها بشكل غير مباشر لكونها مترجمة من اللغة الحثية[٢٨]، وكذلك الأمر بالنسبة لاسم solos بمعنى سبيكة معدنية الذي يُشير باتجاه مشابه إلى المملكة الحثية الثانية في صقليا[٢٩].

وهكذا في عالم الحرفة، تظهر صورة حتى من البيانات اللغوية والتي تتفق تماماً مع التدفق الموثق تاريخياً للمهارات و المنتجات الشرقية في القرن الثامن. أما بالنسبة لتأثير علم التصوير الشرقي، فيجب على المرء أن يضع في ذهنه أنَّ كلمة الأسد - lis[30] - هي ليست الكلمة الوحيدة التي تحمل اسماً سامياً فحسب، و لكن كلمة الثور - tauros - هي

الأخرى تحمل أيضاً تشابهاً و اضحاً للغة الساميّة. ومازال مثال libitu - plinthos يُبيّن كيف أن النقل، بل بالأحرى التخريب، يمكن أن يصيب الكلمات المستعارة. إن ما يجعل الاستعارة[٣١] قابلة للتصديق هو الشيء وليس التوافق الصوتي. ويبقى الكثير في المنطقة الرمادية غير المؤكد صحتها، وخاصة أن المفردات التقنية لبدايات الحِرَفيين التي عرفناها معرفة جزئية حتى في اللغة الإغريقية.

وهذا نفسه ينطبق على المنطقة الأخرى التي شهدت علاقات مُطوّلة ووثيقة؛ إنه مجال الجيش والمرتزقة. فهناك عدد من المقترحات المتعلقة برنين الكلمة بالنسبة للمفردات المتعلقة بهذا الموضوع، ولكن لم تحظَ أية كلمة من هذه الكلمات المُفتَرض أن تكون مُستعارة بالاعتراف العام. وهكذا يستطيع المرء أن يُسمي كلمة سيف معكوف وحيد الحد harpe بجانب السيف الآرامي harba[٣٢]، أو ربما يعطي اسم skylon لسلاح المنهوب أو المسلوب، ويعطي اسم sylan للنهب[٣٣]، أو يعطي اسم macha للمعركة، ويعطي اسم machessasthai "يقاتل" الذي يتوافق مع الكلمة السامية العامة "يضرب"، وهذه الكلمة تتوافق مع الكلمة الأكادية mahasu ومع الكلمة الآرامية maha التي تعني معركة. كما ويمكن أن يدل تشكيل الجذر غير النظامي، من وجهة نظر الاغريق، على التأثيرات الخارجية[٣٤]. وكذلك يمكن تصنيف كلمة بكاء الحرب الإغريقية alala مع ما تتوافق معه في الأكادية وهي كلمة alala التي تعني بكاء و التي تتوافق أخيراً حتى مع كلمة هليلولا[٣٥]. تُقابَل هذه الاحتمالات الجدية بالسخرية بشكل عام؛ إذ أنه من غير المقبول بالنسبة للكثير التفكير بأن المقاتلين الهيلينين كانوا معتمدين على الأنموذج السامي الأولي حتى في لغتهم. أما من وجهة النظر التاريخية، فإن التجيُّش عند الآشوريين سبق الإغريق. وأما ما يخص التكنولوجيا وخاصة دروع أسلحة المشاة، فإن تأثير الشرق كان واضحاً[٣٦].

وكما هو متوقع، فإن البحث عن استعارات شرقية في أسماء من الاسطورة الإغريقية يقف، كما هو متوقع، على أرضية خاصة غير ثابتة[٣٧]. كما ويجب توخي الحذر كل الحذر بخصوص المصطلحات العلمية المتعلقة بممارسة الطقوس الدينية. هذا وسيشير

الفصل الثاني من هذا الكتاب إلى امكانية الاستعارات في هذا المضمار على أنها أشياء ممكنة مُقترحة ذلك من أجل التوضيح كما كانت في السابق حيث أنه لا يمكن استخدامها كحجج مستقلة[٣٨]. وتبقى العلاقات غير واضحة بين كلمات مثل الكلمة الإغريقية pallake أي خليله ومثيلتها العبرية pilagas و الكلمة الآرامية palaqta[٣٩]. وعلى أية حال، فإن هذا النوع من التبسيط الذي يرفض كل العلاقات غير الواضحة مع الساميين يُبقي كل ما هو بعيد الاحتمال فرضية ممكنة على وجه العموم.

obeikandl.com